التكيف المدرسي في ظل البيئة الرقمية
- قراءة في العلاقة و التأثير-

School adjustment in the digital environment a reading of the relationship and influence

ط.د دراجي بوطي*
جامعة الوادي، مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع
derradji-bouti@univ-eloued.dz
د. عبد الرحيم بن بوزيان
جامعة الوادي، مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع
sic.univ.ouargla@gmail.com

تاريخ الاستلام 2023/05/03 تاريخ القبول 2024/05/30

الملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية لتقديم قراءة مفاهيمية حول التكيف المدرسي و البيئة الرقمية، و دور التقنيات الرقمية في العملية التعليمية و على صعيد العلاقات الشخصية و الاجتماعية في الوسط التربوي، و الدور الذي قد تلعبه الوسائط الجديدة في التأثير على التوافق النفسي و الاجتماعي للتلاميذ، و التعرف على العلاقة بين الاتجاه نحو رقمنة العملية التعليمية و استخدام التلاميذ للتكنولوجيا الرقمية في حياتهم اليومية من جهة و أثرها على التكيف المدرسي من جهة أخرى، فاستخدام التلاميذ و الطلبة للتقنيات الاتصالية و الوسائط الجديدة أصبح واقعا وتأثيرها شمل مختلف جوانب حياتهم سواء تعلق الأمر بتوظيف هذه التكنولوجيا في العملية التعليمية و اكتساب المعارف أو في التواصل و التفاعل كامتداد للعلاقات الشخصية و الاجتماعية الموجودة بين التلاميذ و الأساتذة مما ينعكس على التكيف التلاميذ مع وسطهم المدرسي، وهذه الدراسة لا تستهدف معرفة الآثار السلبية والايجابية التي أحدثتها البيئة الرقمية في الوسط المدرسي بقدر ما تستعرض الإمكانيات والفرص التي تتيحها.

الكلمات المفتاحية: التكيف المدرسي، التكيف النفسي و الاجتماعي، البيئة الرقمية، السياق الرقمي.

Abstract:

Through this research paper, we seek to provide a conceptual reading about school adaptation and the digital environment, the role of digital technologies in the educational process and at the level of personal and social relations in the educational milieu, and the role that new media may play in influencing the psychological and social adjustment of students, and to identify the relationship

between the trend towards digitization of the educational process and school adaptation.

And this study does not aim to know the negative and positive effects caused by digital media in the school environment as much as it reviews the possibilities and opportunities it offers.

Keys Words: *school adaptation, Psychological and social adaptation, digital environment, digital context.*

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

تعد العملية التعليمية أحد أهم المجالات التي لاقت اهتماما من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية و الإنسانية فتعددت البحوث و الدراسات التي تناولت المناهج و المواد التعليمية و طرق و أساليب التدريس و كل العوامل و المتغيرات التي من الممكن أن تؤثر على العملية التعليمية، و باعتبار أن الوسط المدرسي من الممكن أن يتعرض فيه التلميذ لتحديات و صعوبات و ضغوطات تعيقه على التأقلم و الاندماج فقد حظي التكيف المدرسي بالعديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع البحثي في مختلف المراحل الدراسية، و التي أثبتت أن التكيف المدرسي للتلميذ عملية تتميز بالتركيب و التعقيد تتداخل فيها العديد من العوامل و المتغيرات التي لها تأثير في قدرة التلميذ على مواجهة و تحدي الصعوبات و التكيف معها، و هو عامل مهم للنجاح و التفوق الدراسي، فالتوافق النفسي و الاجتماعي يعدان مؤشرا على شخصية متكاملة قادرة على التوفيق بين الاحتياجات و المتطلبات و الأهداف و منسجمة مع المحيط المدرسي و الاجتماعي، أما العجز أو سوء التكيف المدرسي فإنه يخلق العديد من المشكلات و الصعوبات لدى التلميذ، ما ينعكس على تحصيله الدراسي و علاقاته بزملائه و معلميه و استقراره النفسي ما قد يؤدي لتركه المدرسة أو تخليه عن التعليم الجامعي.

و نظرا لكون العوامل النفسية و طبيعة العلاقات الاجتماعية و الجوانب البيداغوجية أهم المتغيرات التي ترتبط بالوسط التربوي، فإن التغيرات السريعة التي يشهدها المجتمع و التي فرضتها البيئة الرقمية سواء في استخدام التقنيات الحديثة في مختلف مجالات الحياة أو في تغيير طبيعة العلاقات بين الأفراد و ظهور المجتمعات الافتراضية و أنماط جديدة من التواصل و التفاعل في السياق الرقمي، ما أعطى شكلا جديدا للعلاقات في الوسط المدرسي، إضافة للإمكانيات الغير محدودة التي تتيحها في التعليم عن بعد و التدريب و اكتساب المعارف الجديدة لدى التلاميذ، فقد تشكل هذه البيئة الرقمية بسماتها التواصلية و التفاعلية عاملا مهما يؤثر على مستوى التكيف المدرسي للتلاميذ سلبا أو إيجابا، فحسن استخدام تكنولوجيا الاتصال و الوسائط الرقمية من طرف التلاميذ قد يسهم في

نجاحهم و تكيفهم الايجابي، و قد ينطوي سوء استخدامهم لهذه التقنيات على إخفاقهم و فشلهم لذا وجب مراعاة دور التكنولوجيا في العملية التعليمية و مدى تأثيرها على التكيف المدرسي، و البحث عن السبل المثلى لترشيد استخدامها بشكل إيجابي و العمل على التقليل من تأثيراتها الغير مرغوبة.

و تتمحور هذه الدراسة حول التكيف المدرسي في ظل المعطيات و المتغيرات الجديدة التي أفرزتها البيئة الرقمية في الوسط التربوي، و لدى الفاعلين الأساسيين في العملية التعليمية و أهم مظاهر و تجليات البيئة الرقمية في الواقع الدراسي، و سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤل التالي:

ما هي تجليات البيئة الرقمية و أثرها على التكيف المدرسي لدى التلاميذ؟

و للإحاطة بجوانب هذا الموضوع فقد قسمنا هذه الورقة البحثية لمحورين أساسيين:

أولا: مدخل مفاهيمي حول التكيف المدرسي و البيئة الرقمية.

ثانيا: أثر البيئة الرقمية على الوسط المدرسي.

أهداف الدراسة:

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية للوصول لمجموعة من الأهداف يمكن إيجازها فيما يلي:

- التعرف على التكيف المدرسي، أنواعه، العوامل المؤثرة فيه، أبعاده، مظاهره، كما تهدف الدراسة لمعرفة البيئة الرقمية و المفاهيم المرتبطة بها، خصائصها، تجلياتها و مظاهرها، و آثارها على التلاميذ بصفة خاصة و الوسط التربوي بصفة عامة.

- التعرف على أثر البيئة الرقمية على الوسط المدرسي و التحولات التي شهدها النظام التعليمي نتيجة للتحول الرقمي و استخدام التلاميذ للتكنولوجيا الحديثة و التغييرات التي أحدثتها على المستوى الفردي للتلميذ و على مستوى العلاقات بين التلاميذ و محيطهم، و ما نتج عنها من إمكانيات للتواصل و التفاعل داخل و خارج الوسط المدرسي و التعليم عن بعد.

منهج الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات التحليلية و المنهج الأنسب لهذا النوع من الدراسات هو المنهج الوصفي التحليلي، نظرا لكون هذا الموضوع يتناول قراءة مفاهيمية لمتغيري التكيف المدرسي و البيئة الرقمية بالعرض و التحليل، إضافة لمحاولة فهم تأثير البيئة الرقمية و التقنيات الحديثة على الوسط المدرسي بصفة عامة و التكيف المدرسي للتلاميذ على وجه الخصوص.

أولا: مدخل مفاهيمي:

1. **التكيف المدرسي:**

يعد التكيف المدرسي أحد أنواع التكيف المتعددة التي تلازم الفرد منذ نشأته و المراحل الأولى لطفولته، باعتبار أن مرحلة التعليم تبدأ منذ الطفولة و تستمر حتى مرحلة الشباب في أغلب الأحيان، لذلك فهذا النوع من التكيف يعتبر عملية معقدة و مركبة تتداخل فيها عوامل متعددة بداية من الأسرة و البيئة المحيطة و مختلف المؤسسات الاجتماعية.

1.1. مفهوم التكيف:

يرتبط مفهوم التكيف بالصحة النفسية و الشخصية السوية المتزنة، و بالرغم من اختلاف الباحثين حول مقومات الصحة النفسية إلا أنهم يتفقون حول أنها حالة يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا مع ذاته و مع بيئته، و من هنا جاء مفهوم التكيف المستمد من علم البيولوجيا كما حددته نظرية **"داروين"** المعروفة **"بنظرية النشوء و الارتقاء"**، و هو يعني أن الكائن الحي يحاول أن يوائم نفسه و العالم الطبيعي الذي يعيش فيه من أجل البقاء، و هذا الوصف ينطبق على السلوك الإنساني على أنه رد فعل لكثير من المطالب البيئة الطبيعية الملحة (غباري، و أبو شعيرة، 2015، ص14-19)، ثم انتقل مفهوم التكيف لعلم النفس الفسيولوجي ليدل على "التغير الذي يطرأ على الخبرة الحسية سواء من حيث التكيف أو الشدة أو الوضوح، عندما يظل التنبيه ثابتا مستمرا كالتكيف في حالات البصر و اللمس و الشم و الذوق و الألم".(منسي وآخرون، 2001، ص246)، و عرف **"سدر لاند"** التكيف على أنه "تعديل السلوك أو تغييره لكي يجاري الكائن الحي التغييرات التي تحدث في البيئة".

و يعرفه **السرحان** بأنه سلوك يقوم به الفرد مع المحيط الذي يعيش فيه نتيجة استعدادات جسمية و اجتماعية و انفعالية و عقلية (شعثان، و بن لكحل، 2019، ص26-27)، و يقصد به تكييف أو تعديل المهارة المكتسبة لتوافق موقفا أدائيا جديدا، و هي مرحلة متقدمة يمكن من خلالها قيام الشخص بتحوير المهارة أو تطويرها أو إضافة تعديلات جديدة عليها لتناسب هذا الموقف. (شحاتة و آخرون، 2003، ص152)، أما في علم النفس الاجتماعي فيشمل "كل ما يقوم به الفرد من سلوك ليوائم بين سلوكه و مطالب البيئة التي يعيش فيها، أي تغير سلوك الفرد كي ينسجم مع غيره من الأفراد، و خاصة بإتباع التقاليد و الخضوع للالتزامات الاجتماعية". (منسي و آخرون، 2001، ص246)

2.1. أنواع التكيف:

إن التكيف كعملية نفسية و اجتماعية مركبة عدة أنواع أهمها:

أ- التكيف النفسي (الشخصي):

و يعرف بأنه "عملية تفاعلية بين الفرد و بيئته يقوم الفرد من خلال هذا إما بتعديل سلوكه أو بتعديل بيئته"، و التكيف الشخصي هو قدرة المرء التوفيق بين دوافعه و أدواره الاجتماعية المتصارعة مع هذه الدوافع، و ذلك لتحقيق السعادة و إزالة القلق و التوتر (سراية، 2015، ص103)، و يتجلى في

رضا الفرد عن نفسه، و هو عكس الكره و النفور و السخط و عدم الثقة، بحيث تتسم حياته الشخصية بالخلو من التوترات أو الصراعات النفسية التي تقترن بمشاعر الذنب و القلق و الضيق و النقص، و الأساس الأول لعدم التكيف الشخصي هو وجود حالة من الصراع الانفعالي يعاني منها الفرد، و ينشأ الصراع عادة نتيجة وجود دوافع مختلفة توجه كل منها الفرد وجهة معينة. (فهمي، 1987، ص19)

و منه يمكن اعتبار البعد الشخصي للتكيف يشمل السعادة و الرضا عن النفس، و إشباع الحاجات و الدوافع الأولية (الجوع، العطش،الأمومة...) و الحاجات الثانوية المكتسبة (الاستقلال، الحب، التقدير...) و انسجامها مع بعض، و كذا تناسب قدرات الفرد و إمكاناته مع مستوى طموحه و أهدافه و ميوله و رغباته.

و يضيف **جوش (Josh)** أن إشباع الحاجات هو المدخل الرئيسي لإحداث التوازن لدى الفرد من الناحية الفيسيولوجية و النفسية و الاجتماعية، أي هي التي تقوده للتكيف مع نفسه و مع من حوله. (بوطالية، 2016، ص48-49)

ب- التكيف الاجتماعي:

تتسم علاقة الفرد بمحيطه الاجتماعي بالتفاعل في إطار العلاقات الاجتماعية و تسمى هذه العملية بالتطبيع الاجتماعي من خلال اكتساب الفرد للطابع الاجتماعي السائد في مجتمعه من لغة و عادات و تقاليد و قيم و معتقدات، يعرف **"ولمان"** التكيف الاجتماعي "بأنه جملة التغيرات و التعديلات السلوكية، التي تكون ضرورية لإشباع الحاجات الاجتماعية لمواجهة متطلبات المجتمع إلى جانب إقامة علاقات منسجمة مع البيئة" (سراية، 2015، ص122) و يتم هذا في حدود الأبعاد التالية:

- الالتزام بأخلاقيات المجتمع: من خلال التزام الفرد بالأخلاقيات النابعة من روح المجتمع و تاريخه و دينه، هذه الأخلاقيات تنبه الفرد إلى ما في المجتمع من أوامر و نواهي و ما يعتبره من المحرمات و الممنوعات.

- الامتثال لقواعد الضبط الاجتماعي: فلكل مجتمع إنساني مجموعة من القواعد و النظم تضبط علاقة الفرد بالجماعة، و الفرد من خلال عملية التطبيع الاجتماعي يتعرف على هذه القواعد و القوانين و يتمثلها حتى تصبح جزءا من تكوينه الاجتماعي، و نمطا محددا لسلوكه داخل الجماعة. (فهمي، 1987، ص23-24)

ج- التكيف المدرسي:

يعد التكيف في الوسط المدرسي أحد أهم أنواع التكيف التي تتطلبها حياة الفرد، نظرا للفترة الزمنية الطويلة التي يقضيها التلميذ في مقاعد الدراسة و يمكن عرض العديد من التعريفات التي حددت النقاط الأساسية في التكيف المدرسي:

- "هو قدرة التلميذ أو الطالب على تحقيق حاجاته العلمية و الاجتماعية من خلال زملائه و أساتذته و المؤسسة التعليمية و إدارتها، و من خلال المساهمة في مختلف النشاطات الاجتماعية و الثقافية بشكل يؤثر في صحته النفسية و تكامله الاجتماعي" (بوطالية، 2016، ص57)

- و يعرف بأنه "تلك العملية الدينامية المستمرة التي يقوم بها التلميذ لاستيعاب المواد المدرسية و النجاح فيها و تحقيق التلاؤم بينه و بين البيئة الدراسية و مكوناتها الأساسية و المتمثلة في الأساتذة، الزملاء، مواد الدراسة، مكان الدراسة، وقت الدراسة، ...(شعثان، و بن لكحل، 2019، ص27)

كما يعرف التكيف المدرسي بأنه "السلوك السوي للتلميذ في مواجهة المشكلات الناشئة عن إشباع حاجاته النفسية و الاجتماعية و تحقيقها من خلال إقامة علاقات اجتماعية بناءة مع زملائه و معلميه، و إسهاماته الفاعلة في ألوان النشاط المدرسي الاجتماعي الثقافي و الرياضي". (زيادة، 2019، ص203)

من خلال عرض التعريفات السابقة يمكن تعريف التكيف المدرسي بأنه عملية ديناميكية مستمرة و السلوك السوي للتلميذ الذي يهدف من خلاله لتحقيق التوافق النفسي و الاجتماعي مع بيئته المدرسية من خلال تكوين علاقات اجتماعية جيدة مع زملائه و أساتذته و إشباع حاجاته التعليمية و المعرفية و تطوير مهاراته و قدرته على مواجهة المشكلات و الصعوبات التي يواجهها داخل الوسط المدرسي".

3.1. عوامل التكيف المدرسي:

- التلميذ (قدراته و صفاته):

إن قدرات و صفات التلميذ أو الطالب كالحالة الصحية و العمر و السمات المزاجية و العادات الشخصية و طموحه و تنشئته الاجتماعية و خبراته و انتمائه الاجتماعي، كلها عوامل تهدف إلى إيجاد حالة من التوافق بين حاجاته الشخصية و مطالب المجتمع، فحضوره المنتظم للمدرسة و قدرته على التواصل الإيجابي، مع المعلمين و تحصيله الدراسي الجيد، و تفاعله مع المدرسة و طموحاته المستقبلية، و ثقته بنفسه، و المشاركة في النشاطات المدرسية و عدم وجود مشكلات مدرسية، ... كل هذه العوامل تؤدي إلى تكيف مدرسي سليم لدى التلاميذ، بعكس التلاميذ الذين لم يتمتعوا بقدر مناسب من معاملة حسنة من قبل الوالدين، و الذين يتعرضون للنقد المستمر من معلميهم و من الإحباط المستمر، كل هذا يؤدي إلى سوء التكيف المدرسي لديهم. (زيادة، 2019، ص204)

- زملاء الدراسة:

يبدأ الطفل في تكوين علاقات و روابط مع أقرانه منذ الطفولة، من خلال الجيران و زيارة الأقارب، فيتحول بذلك الطفل في هذه المرحلة من العلاقات الأسرية غلى العلاقات الاجتماعية

الخارجية، و يظهر هذا بشكل جلي و أقوى عندما يلتحق الطفل بالمدرسة، و مع مرور الزمن يتطور هذه العلاقات بحيث يكون عدد أفراد البيئة المدرسية أكثر عددا من أفراد الأسرة، ما يتطلب منه بذل جهد أكبر من أجل توثيق علاقاته و تكيفه مع زملائه.

و للزملاء دور هام في التكيف المدرسي و الأداء الأكاديمي للطالب، خاصة في مرحلة المراهقة حيث يميلون إلى اختيار مجموعة من الأصدقاء من نفس البيئة الاجتماعية و القواسم المشتركة التي تجمع بينهم، بحيث تتشكل مجموعات داخل الوسط المدرسي لكل منها قيمها و تصرفاتها، منها من يعطي للتحصيل الدراسي و الانجاز العلمي أولوية و أهمية بالغة و بين من لا يهتم كثيرا بهذه الناحية. (سراية، 2015، ص117)

- المدرسة:

لا يقتصر دور المدرسة بالنسبة للتلاميذ على التحصيل الدراسي و التكوين المعرفي فقط، و إنما تعتبر مجتمعا يتفاعل فيه التلاميذ يتأثرون ويؤثرون، حيث الاتصال و الشعور متبادل و الأهداف المشتركة، كل هذا يؤدي إلى خلق الجو المناسب للنمو الفردي و الاجتماعي، و تقوية ارتباط التلاميذ بمحيطهم و بيئتهم الاجتماعية و تنمية الشعور بالمسؤولية تجاه هذا المجتمع و تلك البيئة. (زيادة، 2019، ص205-206)

و حتى يتحقق التكيف المدرسي الجيد لابد من خلق جو مناسب في الوسط المدرسي و علاقات إيجابية بين التلاميذ و الأساتذة و الإدارة، فنجاح العملية التعليمية يتحدد من خلال طبيعة هذه العلاقات فهي تلعب دورا رئيسيا في حل الكثير من المشكلات النفسية و التعليمية و الاجتماعية و تجاوز الضغوط المختلفة التي يعاني منها التلاميذ و الطلبة. (سراية، 2015، ص119)

- المعلم (الأستاذ):

تؤدي العلاقات بين المدرس و التلاميذ و التي تقوم على أساس من الديمقراطية و التوجيه و الإرشاد السليم إلى حسن العلاقة بين الطرفين الأساسيين في العملية التعليمية و إلى النمو التربوي و النفسي السليم لدى التلاميذ، فالمدرس ليس ناقلا للمعلومات و المعارف فقط و لكنه بالإضافة إلى ذلك معلم و موجه و لمهارات التوافق، و مشخص لمظاهر و أعراض أي اضطراب سلوكي و مسؤول عن رعاية النمو النفسي و تحقيق الصحة النفسية للتلميذ و وضعه في خبرات سلوكية سوية. (زهران، 2005، ص20)

- النشاط المدرسي و المناهج الدراسية:

تعد البرامج و الأنشطة الثقافية و الاجتماعية و الفنية و الرياضية، التي تقدم للتلاميذ دافعا نحو التفكير و العمل و تعديل سلوكهم و تنمية شخصياتهم، ليكون لهم دور فاعل و نشط في عملية التعلم، من أجل تحقيق الأهداف التربوية للبرامج الدراسية، على أن يؤدي هذا إلى نمو خبرة التلميذ و

تطوير قدراته و مهاراته و هواياته في الاتجاهات التربوية و الاجتماعية المرغوبة. (زيادة، 2019، ص209)

فالمناهج و البرامج الدراسية لا يجب أن يكون تركيزها على اكتساب المعارف و المعلومات، و إنما يجب أن يضاف إلى هذا الاهتمام بتوافق التلميذ شخصيا و اجتماعيا و بصحته النفسية و الجسمية و بتكوين عادات سلوكية سليمة و اتجاهات موجبة نحو المدرسة و نحو العمل و الأشخاص، و العمل على إحداث التوافق مع مواقف الحياة، و الاهتمام بملائمة المناخ الاجتماعي في المدرسة داخل و خارج الفصل و في النشاط المنهجي و النشاط خارج المنهج. (زهران، 2005، ص20)

2. البيئة الرقمية:

إن السمة الأبرز لعصرنا هي التطور الهائل في تكنولوجيات الاتصال و توظيفها في مختلف المجالات فلا يوجد مجال إلا و قد شمله التحول الرقمي حتى أصبحت المجتمعات البشرية و مختلف المؤسسات التي تنشط تعتمد في أداء مهامها على التقنيات الرقمية، فأصبحت البيئة الرقمية جزءا من حياة الإنسان المعاصر.

1.2. مفهوم البيئة الرقمية:

لقد ارتبط مفهوم البيئة الرقمية بظهور التقنيات الاتصالية الحديثة و شبكة الانترنت، لهذا فهي فضاء اتصالي يكون فيه المستخدم على تواصل من أي مكان و من أي حاسوب، حيث تتميز المعلومات و المراجع فيها بعدم تنظيم بل يحتاج فيها الباحث إلى استخدام استراتيجيات و طرق معينة للوصول و استرجاع المراجع و المصادر التي يبحث عنها، إذن يمكن أن نطلق على شبكة الانترنت و ما يرتبط بها من تقنيات و تطبيقات مسمى البيئة الرقمية. (بن راشد، بلحاج، 2021، ص78)

و تعرف البيئة الرقمية بأنها مجموعة من العناصر ذات المهام و الاختصاصات المتفاوتة، يتفاعل الإنسان معها في مختلف المؤسسات عبر تطبيقات التكنولوجيا الجديدة، و تعد شبكة الانترنت البيئة الأساسية و المناسبة لاحتضان و إتاحة الدخول إلى المعلومات الرقمية، بحيث توفر مصادر المعلومات و الوسائط الرقمية المخزنة في قواعد المعلومات، و تمكن الباحث من الحصول على أوعية و مصادر المعلومات في أي وقت و من أي مكان. (بولمناخر، 2021، ص112)

و البيئة الرقمية هي ذلك الفضاء الافتراضي المعتمد على المواقع الإلكترونية و شبكات التواصل الاجتماعي و البرمجيات التي تستخدم في إدارة نشاطات مستخدمي وسائل الاتصال و الانترنت و الأجهزة الإلكترونية سواء كان شخص أو مؤسسة بمختلف أنواعها و في جميع المجالات من أجل تنظيمها و تلبية رغباتهم و توجيهها من خلال ملفات الارتباط و سجلات النشاط، (باعثمان، 2022، ص9). لذلك فالبيئة الرقمية هي نتيجة مباشرة لتجليات الاندماج الرقمي من جهة و الاندماج الإعلامي

من جهة أخرى و التي أدت لاحقا إلى سيطرة الشركات التقنية على الحقل الإعلامي. (مرزوقي، 2021، ص66)

و يرى "تيليي" أن المكونات الأساسية التي يجب توفرها في البيئة الرقمية هي:

- المعلومة على الشكل الرقمي.
- التكنولوجيات الحديثة لنقل المعلومات و الاتصال.
- الوسائل التقنية المستعملة من قبل المستخدم للوصول إلى المعلومة.

من خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنه لا يوجد تعريف محدد للبيئة الرقمية، فكل باحث يعرفها انطلاقا من مجاله البحثي و تخصصه و هذا راجع لكون التقنيات الحديثة و التحول الرقمي شمل جميع المجالات و بدون استثناء، و على العموم يمكن أن نعرف البيئة الرقمية بأنها "مزيج من التقنيات و البرامج و ما تتيحه شبكة الانترنت من إمكانيات تواصلية و خدمات عبر الفضاء الافتراضي تمكن المستخدم من التواصل و التفاعل و الوصول لعدد غير محدود من البيانات و المعلومات في شكلها الرقمي في مختلف المجالات".

2.2. خصائص البيئة الرقمية:

للبيئة الرقمية العديد من المميزات و السمات و سنركز على ذكر أهم الخصائص و الإمكانات التي تتيحها التكنولوجيا لمستخدميها و الخصائص العامة للمجتمعات الافتراضية التي تتشكل في الفضاء الرقمي:

- **التفاعلية:** تتيح التقنيات المرتبطة بشبكة الانترنت إمكانية التواصل و التحاور المباشر من خلال التطبيقات و المواقع و المشاركة في المنتديات و الحوار بين المستخدمين، و التفاعل مع القضايا و المواضيع المطروحة للنقاش من قبل الموقع أو مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.
- **تعدد الوسائط:** و يقصد بها اجتماع الصوت و الصورة الثابتة و المتحركة و الفيديو في تطبيق أو موقع إلكتروني عبر شبكة الانترنت، ما يتيح للجمهور نشر و مشاركة و تبادل مختلف الوسائط و الأشكال الاتصالية في وقت واحد.
- **اللاتزامنية:** و هي إمكانية تجاوز الحواجز الزمانية من خلال التفاعل مع العملية الاتصالية في الوقت المناسب للفرد عاجلا أو آجلا، و سواء أكان مرسلا أو مستقبلا.
- **الحرية و تجاوز الحدود المكانية:** أصبح بإمكان أي شخص لديه اتصال بالانترنت إنتاج محتوى رقمي و نشر رسالته إلى جميع أنحاء العالم و اختراق حدود الدول و بالتالي حرية واسعة في تناول القضايا الداخلية و الخارجية.

- القدرة على التخزين و الحفظ: تتيح الوسائط الرقمية للمستخدم تخزين و حفظ الرسائل و المواد الاتصالية و استرجاعها متى شاء.

- السرعة و الفورية في الاستجابة: سرعة تبادل الأخبار و الآراء و المعلومات بشأن القضايا و الأحداث و مشاركتها بين المرسل و المستقبل دون الحاجة للانتظار لوقت معين. (المشهداني، و العبيدي، 2020، ص76-78)

و نتيجة لهذه الخصائص و الإمكانيات التي أصبحت في متناول الجماهير الواسعة من المستخدمين فقد ظهرت مجتمعات افتراضية بهويات و ثقافات تشكلت في السياق الرقمي كنتيجة للممارسات الاتصالية في البيئة الرقمية و تتميز المجتمعات الافتراضية بعدد من الخصائص:

- تتميز المجتمعات الافتراضية التي تتشكل ضمن البيئة الرقمية بوجود غرض مشترك بين الأعضاء قد يكون مجال اهتمام أو حاجات أو نشاط معين أو مجموعة من المصالح التي تجمع بينهم، بحيث تشكل الدافع الرئيسي لانتمائهم لهذا المجتمع الافتراضي أو ذاك، و ينخرط الأعضاء في مشاركات و أنشطة متكررة عن طريق التفاعلات و العلاقات الاجتماعية.

- إن هذه العلاقات الافتراضية تقوم على حوار مشترك بين الأعضاء تحكمه مجموعة من اللوائح و القواعد التي يلتزمون بها فيما بينهم.

- توافر المعلومات و الخدمة و الدعم المعنوي للأعضاء فيما بينهم، و هناك وعي بحدود العضوية و هوية الجماعة داخل أي مجتمع افتراضي، كما يشترك هؤلاء الأعضاء في إطار واحد من التقاليد الاجتماعية و اللغة و البروتوكولات المتبعة.

- لكل مجتمع افتراضي بناء اجتماعي، فالأعضاء لهم أدوار مختلفة و تدرجات و مكانة اجتماعية يحصل عليها الفرد نتيجة للسمعة و الإنجازات الفكرية و الثقافية، مع وجود معاني للاشتراك في مجتمع افتراضي دون آخر. (باعثمان، 2022، ص10-11)

ثانيا: أثر البيئة الرقمية على الوسط المدرسي:

كما سبقت الإشارة فإن البيئة الرقمية و تأثير تكنولوجيات الاتصالية شملت مختلف الميادين، و المجال التعليم لم يكن استثناءا بل بعض الباحثين من يعتبره أكثر الميادين تأثرا بالتغيرات التي أفرزتها البيئة الرقمية نظرا لأن العنصر الرئيسي في المؤسسات التعليمية و التربوية من الشباب و هذه الفئة أكثر الفئات استخداما للتكنولوجيا و بالتالي تأثرا بها، فقد ظهرت **البيئة التعليمية الرقمية** كأحد أوجه البيئة الرقمية في حياتنا و تعرف البيئة التعليمية الرقمية بأنها "مجموعة من أنظمة المعلومات المفتوحة و المصممة لدعم المهام المختلفة للعملية التعليمية، تضمن توفير الوصول إلى المواد التعليمية الإلكترونية و أنظمة المكتبات الرقمية و إجراء الفصول الدراسية عبر الانترنت و تسجيل التقدم و نتائج الأنشطة التعليمية. (Ilyina,2019, p122)

و يمكن تحديد أهم تجليات و أثر البيئة الرقمية في الوسط المدرسي فيما يلي:

1. التحول الرقمي:

أ- مفهوم التحول الرقمي:

يعرف التحول الرقمي أو الرقمنة بأنه "عملية تحويل البيانات إلى مظهر رقمي بهدف معالجتها بواسطة الحاسب الإلكتروني، و في سياق نظم المعلومات، و تشير الرقمنة إلى تبديل النصوص المطبوعة أو الصور (صور فوتوغرافية، خرائط، رسوم بيانية...) إلى إشارات رقمية ثنائية باستخدام نوع ما من أنظمة المسح الضوئي. (السواط، و الحربي، 2022، ص652-653)

و يعرفه ميشال وايد بأنه "إحداث تغيير تنظيمي من خلال استخدام التقنيات الرقمية و نماذج الأعمال لتحسين الأداء". كما عرفه البعض بأنه "عملية تحويل مصادر المعلومات المتاحة على وسائط تخزين تقليدية إلى صور إلكترونية و بالتالي يصبح المحتوى التقليدي محتوى مرقمن يمكن الإطلاع عليه من خلال تطبيقات الحاسبات الآلية". (مختار، ونعاس، 2022، ص188)

و التحول الرقمي في التعليم هو تلك العملية التي تعتمد على الاستخدام الواسع لتكنولوجيا المعلومات و الاتصالات في البيئة التعليمية، و التي تنعكس على كافة مكونات المنظومة التعليمية من حيث الأدوار الجديدة للمعلمين، و استراتيجيات التعليم و التعلم، و طرائق عرض المحتوى التعليمي للدارسين، و أساليب تقويمهم، بما يسهم في توليد فرص تعليمية جديدة من خلال انخراط الطلبة في البيئة الرقمية عبر الانترنت، و تغيير الممارسات التعليمية باستخدام مجموعة واسعة من استراتيجيات التعلم المبتكرة.

ب- أهمية التحول الرقمي:

و تبرز أهمية التحول الرقمي و فوائده في العملية التعليمية فيما يلي:

- تمكين المعلمين و الأساتذة من التحكم في جودة العملية التدريسية و المواد التعليمية و تحسين مستوى فهم الطالب للمعلومات الجديدة.

- دعم العمل الجماعي بين التلاميذ و تبادل وجهات النظر و الأفكار مع زملاء الدراسة و الأساتذة و القدرة على معالجة المعلومات بشكل تفاعلي، و تحقيق أفضل النتائج في غضون فترة قصيرة.

- تسهم التكنولوجيا الرقمية في تعزيز الموقف التعليمي و ذلك بتوفير ظروف بيئية أكثر ملائمة للتلاميذ و الطلبة على اختلاف مستوياتهم العقلية و العمرية و مراحل تعلمهم، مما ينتج عنه الارتقاء بمستوى المتعلمين من الجوانب المعرفية (اكتساب المعارف الجديدة و مهارات البحث) و التربوية (تغيير السلوك و اكتساب المهارات الحياتية و تنمية الحافز للتعلم). (المسلماني، 2022، ص819-820)

2- التعليم عن بعد:

أ- مفهوم التعليم عن بعد:

هو أسلوب تعليمي يهدف إلى خلق بيئة تفاعلية افتراضية عبر شبكة الانترنت يكون في مقدور التلميذ و المعلم الالتقاء من خلالها و تبادل المعلومات و المناقشات العلمية، و قد ساعد هذا النوع من التعليم على توفير بيئة تشبه لحد كبير المؤسسات التعليمية و مراكز التدريب، و من ثمة أصبح من الممكن ممارسة التعليم و التدريب بين أفراد العملية التعليمية من أي مكان بالعالم عبر بيئة تواصلية افتراضية موثوقة و ناجحة. (جمال الدين، 2022، ص29)

و يعرف التعليم عن بعد بأنه "ذلك النوع من التعليم القائم على شبكة الحاسب الآلي و فيه تقوم المؤسسة التعليمية بتصميم موقع خاص بها و لمواد أو برامج معينة لها، و يتعلم المتعلم فيه عن طريق الحاسب الآلي، و فيه يتمكن من الحصول على التغذية الراجعة، و هذا يجب أن يتم وفق جداول زمنية محددة حسب البرنامج التعليمي، و بذلك نصل بالمتعلم إلى التمكن مما يتعلمه. (عبد الحي، 2010، ص70)

و من خلال ما سبق يمكن تعريف التعليم عن بعد على أنه "توظيف الحاسوب و مستحدثاته و تكنولوجيا الوسائل المتعددة، و تكنولوجيا الاتصال و مستحدثاتها، و شبكات المعلومات، كليا أو جزئيا في العملية التعليمية، لتحقيق أهدافها المنشودة بجودة عالية.

ب- فوائد التعليم عن بعد:

- إمكانية التواصل بين الطلبة فيما بينهم، و بين الطلبة و المدرسة، و ذلك عبر الوسائل الاتصالية و التقنيات الرقمية مثل المجموعات الافتراضية، و البريد الإلكتروني، و شبكات التواصل الاجتماعي، و يرى الباحثون أن العدة الرقمية تزيد من تحفيز الطلاب على المشاركة و التفاعل مع الموضوعات المطروحة.

- بعض أساليب التعلم الإلكتروني تتيح للطلاب إبداء وجهات النظر في المواضيع المطروحة و الاستفادة من الآراء و المقترحات المختلفة، ما يساعد على تكوين أسس معرفية متينة لدى المتعلمين.

- سهولة التواصل بين الطالب و الأستاذ خاصة في أوقات الدوام الغير الرسمية عن طريق الاستفسار عبر البريد الإلكتروني مثلا.

- إمكانية تكييف طريقة التدريس بما يناسب التلميذ، فهناك من تناسبه الطريقة المرئية و هناك من يفضل الطريقة المسموعة أو المقروءة، فالتعليم الإلكتروني يتميز بالمرونة و القابلية للتحوير.

- الاستفادة القصوى من الوقت من خلال الوصول الفوري للمعلومة في المكان و الزمان المحدد، دون الحاجة للذهاب للمدرسة و المكتبة، إضافة لتجاوز العائق الزمني فالمناهج الدراسية و

المادة العلمية موجودة طوال اليوم و كل أيام الأسبوع ما يتيح الاطلاع عليها في التوقيت الذي يناسب الطالب. (الفريجات، 2014، ص167-169)

3- التواصل و التفاعل الافتراضي:

أ- مفهوم التفاعل الافتراضي:

هو عبارة عن الجهود المخططة في تصميم مواقع الوسائل الإعلامية الجديدة و برامجها و محتواها الذي يسمح للمتلقي بأكبر قدر من المشاركة في عمليات الاتصال و الاختيار الحر من المحتوى و الخدمات المتاحة، و تكمن أهمية الاتصال التفاعلي في أنه وفر الاتصال و التفاعل في آن واحد. (كافي، 2016، ص163)

يعتبر التفاعل الافتراضي الامتداد الحقيقي للاتصال الافتراضي الذي يرتبط بدور الانترنت الذي استقر في الممارسة اليومية لمستخدمي هذه الشبكة، فقد توسع نسيج الفضاء المعلوماتي و زاد من فروعه فتحول الويب إلى أرضية رقمية لإنشاء فضاءات اتصال و تواصل من المدونة و الدردشة إلى الفيسبوك.

و يرى "جيل دولوز" أن الافتراضي يعكس الواقع و أن المضامين التي يتم تداولها في الفضاء الرقمي تستند إلى الواقع أو تعكسه، فالواقع الثقافي و المنفعي ينبع واقعيا من إدراك الأفراد المتأصل في أذهانهم و تصورهم حول الواقع المعاش.

و يشكل التفاعل الافتراضي شكلا من أشكال العلاقات الاجتماعية المنتظمة، إلا أنه يتميز بغياب الحضور الجسدي وجها لوجه، و يسمح للمستخدم باختيار التجول بين الصفحات و المواضيع المطروحة بالإضافة إلى إمكانية الحصول على التغذية العكسية (رجع الصدى) من المستخدم. (رياح، و صغير عباس، 2019، ص121)

ب- خصائص التفاعل الافتراضي:

يتميز التفاعل الافتراضي بالعديد من السمات التي يمكن تحديد أهمها فيما يلي:

- التفاعل الافتراضي قد يكون تزامني أو غير تزامني فالدردشة كأداة تفاعلية يشترط فيها وجود طرفي الاتصال في آن واحد، أما البريد الإلكتروني فهو أداة تفاعلية غير تزامنية لا يشترط وجود طرفي الاتصال في آن واحد.

- يتسم التفاعل الافتراضي بتبادل الأدوار بين طرفي العلمية الاتصالية، فالمستقبل في ظل البيئة الرقمية بإمكانه تعديل أو تغيير شكل و مضمون الرسالة الاتصالية الموجهة من المرسل، كما بإمكانه اختيار الموضوع المناسب من بين البدائل التي يتم عرضها عبر وسائل الاتصال التفاعلي، فضلا عن اختيار الوقت المناسب لذلك.

- إمكانية تعدد المشاركين في عملية الاتصال التفاعلي عن -أكثر من مرسل و متلقي- في إطار متزامن من خلال مؤتمرات الفيديو و الدردشة الجماعية و مواقع التواصل الاجتماعي، مع تبادل الأدوار خلال عملية الاتصال طبقا لحركة الحوار و اتجاهاتها.

- لم يعد الاتصال التفاعلي يقتصر على المشاركين في العملية الاتصالية فقط بل قد يتعداه إلى الاتصال الجماهيري بوسائله المتعددة يشارك فيها المتلقي بالحوار من خلال وسائل الاتصال الأخرى، مثل المؤتمرات عن بعد و المؤتمرات التفاعلية.

- إن المتلقي في البيئة الرقمية لم يعد يتميز بأنه نشط فقط بناءا على اختياره بين الوسائل الاتصالية المتعدد، أو عنيد بناءا على رفضه أو قبوله للمحتوى، بل أصبح مشاركا و متفاعلا في العملية الاتصالية الكلية يؤثر فيها و في نتائجها. (قوطال، 2017، ص95-98)

4- الوفرة الرقمية:

و تعني الوفرة الرقمية الوفرة في الوسائط الرقمية و الوفرة في كمية و حجم البيانات و المعلومات التي تتيحها هذه الوسائط، لقد استطاعت الوسائط الحديثة وعلى رأسها **غوغل** رقمنة أكبر قدر من المحتوى و استيعاب كم هائل من المعلومات، بما في ذلك محاولة مؤسسيها رقمنة العالم المادي نفسه و دمجه كجزء من البيانات في هذا العالم الرقمي عن طريق (Google street view)كمساعد لخرائط (Google) مع نظام التشغيل (android) الخاص بالهواتف المحمولة والأجهزة اللوحية، ويشكل الباحث العلمي من غوغل (Google scholar) مكتبة نصية واسعة من العمل الأكاديمي والعلمي، لقد جعلت غوغل هدفها أيضا رقمنة كل الكتب في العالم ما قد يعيد تعريف مفهومنا عن الكتاب والتعليم والجامعة. (Bolter, 2019, p9-10)

إن وفرة الرقمية سواء من خلال تعدد للمواقع و التطبيقات و محركات البحث أو ما تحتويه من معلومات و بيانات ضخمة، يتيح إمكانية اعتمادها عليها في الجانب العلمي و الأكاديمي في الدراسات و البحوث العلمية و التعليم عن بعد و تحسين المستوى و الأداء الأكاديمي للطلبة.

خاتمة:

من خلال استعراضنا لمفهوم التكيف المدرسي و أنواعه و العوامل المؤثرة فيه و آثار التطور التكنولوجي على الميدان التعليمي و التربوي نخلص لمجموعة من النتائج أهمها:

- إن التكيف المدرسي عملية مركبة تتداخل فيها العديد من العوامل النفسية (الصفات الشخصية للتلميذ قدراته العقلية) و العوامل الاجتماعية (الأسرة، البيئة، المدرسة، زملاء الدراسة) و العوامل البيداغوجية (المناهج الدراسة، أساليب و طرق التدريس و التقييم...)

- إن تأثير التكنولوجيات الاتصالية و ما أفرزته البيئة الرقمية يتعدى الجانب المعرفي و التحصيل العلمي و الدراسي و تطوير المهارات البحثية ليمتد إلى إعادة تحديد مفهوم العلاقة بين

المدرسة و الأسرة و التلميذ، و العلاقات الرسمية و الغير رسمية (خارج الإطار الدراسي) بين الأساتذة و التلاميذ، و علاقات التلاميذ فيما بينهم، و بالتالي تأثير المباشر أو غير المباشر على التكيف المدرسي لدى التلاميذ.

- إن طبيعة تأثير الوسائط الجديدة (سلبا أو إيجابا) على التكيف المدرسي لدى التلاميذ تحدده طبيعة الاستخدام فكما تسهم في التكيف السليم من خلال ما تتيحه من إمكانيات للبحث و التعلم و اكتساب مهارات جديدة و ربط علاقات جيدة مع الأساتذة و الزملاء و المحيط المدرسي فهي من ناحية أخرى قد تؤدي إلى عدم التكيف نتيجة للاستخدام السلبي لها كالإدمان و ضعف العلاقات الاجتماعية و قلة التواصل المباشر بين التلاميذ و محيطهم، و إلى عدم الاحترام الخصوصية و قلة الاحترام بين التلاميذ و الأساتذة.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

1. ابراهيم المسلماني، لمياء، (2022)، التحول الرقمي في الجامعات المصرية -الواقع، المتطلبات، المعوقات، المجلة التربوية لكلية التربية بسوهاج، المجلد 99، العدد 99، ص794-876.
2. باعثمان، عبد القادر، (2022، جوان)، البيئة الرقمية قراءة سوسيو مفاهيمية، ورقة مقدمة لملتقى التحولات الاجتماعية في البيئة الرقمية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر.
3. بن راشد رشيد، بلحاج حسينة، (2021)، براديغم البيئة الرقمية - التموقع الابستيمولوجي للنظريات الكلاسيكية في الإعلام البديل، المجلة العلمية للتكنولوجيا و علوم الإعاقة، المجلد 3، العدد 4، ص73-91.
4. بوطالية، يمينة، (2016)، التكيف المدرسي و علاقته بالذكاء الوجداني و أساليب مواجهة الضغوط عند طلبة المدارس الوطنية التحضيرية، مذكرة دكتوراه علوم في علوم التربية، قسم علوم التربية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر2.
5. بولمناخر، ناجي، (2021)، البحث العلمي في ظل البيئة الرقمية - تحديات الواقع و آفاق المستقبل، مجلة دفاتر المتوسط، المجلد 6، العدد 2، ص105-123.
6. جمال الدين سمر، عبد الحليم، (2022)، تقييم الطلاب و أعضاء هيئة التدريس للإستراتيجيات الاتصالية التي تتبناها المؤسسات التعليمية لترويج التعلم عن بعد، مجلة البحوث و الدراسات الإعلامية، العدد 20، ص 1-94.
7. رياح رضوان، صغير عباس فريدة. (2019)، التفاعل الافتراضي نحو مقاربة المفهوم في ظل المجتمعات الافتراضية، مجلة الصورة و الاتصال، المجلد 7، العدد 2، 119-127.
8. زهران، حامد عبد السلام، (2005)، الصحة النفسية و العلاج النفسي، ط 4، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
9. زيادة أشرف اللافي محمد، (2019)، التكيف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، المجلة العلمية لكلية التربية، المجلد 1، العدد 13، ص200-219.
10. السواط طلق عوض اللّه، الحربي ياسر ساير، (2022)، أثر التحول الرقمي على كفاءة الأداء الأكاديمي (دراسة حالة لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز)، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 43، ص647-686.

11. شحاتة حسن، و آخرون. (2003)، معجم المصطلحات التربوية و النفسية، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
12. شعثان لخضر، بن لكحل سمير، (2019)، التكيف الأكاديمي لدى طلبة الجامعة في ضوء بعض المتغيرات، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 2، العدد 11، ص25-36.
13. عبد الحي، رمزي أحمد، (2010)، التعليم عن بعد في الوطن العربي و تحديات القرن الحادي و العشرين، ط 1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.
14. غباري، أبو شعيرة، (2015)، التكيف مشكلات و حلول، ط 1، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن.
15. الفريجات، غالب عبد المعطي، (2014)، مدخل إلى تكنولوجيا التعلم، ط 1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن.
16. فهمي، مصطفى، (1987)، التكيف النفسي، ط 1، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر.
17. قوطال، كنزة، (2017)، أثر التفاعلية على سلوكيات مستخدمي الهواتف الذكية و علاقتها ببعض سماتهم الشخصية -دراسة مسحية على عينة من الشباب المستخدم بالجزائر العاصمة، أطروحة دكتوراه، تخصص دراسات الجمهور، قسم الاتصال، كلية علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3.
18. كافي مصطفى، يوسف، (2016)، الإعلام التفاعلي، ط 1، دار الحامد، عمان، الأردن.
19. مختار خديجة، نعاس نريمان، (2022، جوان)، دور التحول الرقمي في تسيير إدارة الموارد البشرية، ورقة مقدمة لملتقى التحولات الاجتماعية في البيئة الرقمية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر.
20. مرزوقي، حسام الدين، (2021)، استخدام التكنولوجيات الحديثة في تتبع الممارسات الاتصالية و الإعلامية في البيئة الرقمية، مجلة رقمنة للدراسات الإعلامية و الاتصالية، المجلد 1، العدد 2، ص61-80.
21. المشهداني سعد سلمان، العبيدي فراس حمود، (2020)، مواقع التواصل الاجتماعي و خصائص البيئة الإعلامية الجديدة، ط 1، دار أمجد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن.
22. منسي عبد الحليم، وآخرون. (2001)، المدخل إلى علم النفس التربوي، ط 1، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر.

المراجع الأجنبية:

1. *bolter jay david. (2019). The Digital Plenitude - the decline of elite culture and the rise of new media. Library of Congress. United States of America.*
2. *Ilyina Ekaterina A ,et al. (2019). Features of the Development of Digital Educational Environment in Russia. International journal of higher education. V8. N7. p121-131.*